

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

علم القلوب - الدرس : 50 - تفسير آيات من سورة طه تتعلق بالسحرة.

12-07-1999

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الأمر دائماً بيد الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام: الآيات التي قرئت في صلاة الفجر تتحدث عن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فرعون هو الذي قتل أبناء بني إسرائيل, واستحيا نساءهم, فلما جاءه موسى -عليه الصلاة والسلام- يدعو إلى الإيمان بالله, وقف منه موقفاً, لا يمليه عليه منطقه في قتل الناس, قال له:

﴿أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾

[سورة طه الآية:57]

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾

[سورة طه الآية:58]

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾

[سورة طه الآية:59]

لو أن الأمر بيد فرعون لأمر بقتله وانتهى الأمر, لكن لأن الأمر بيد الله؛ هذا الجبار, البطّاش, الذي لا يساوي عنده قتل إنسان قتل ذبابة, وقف منه موقفاً ضعيفاً:

﴿أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾

[سورة طه الآية:57]

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾

[سورة طه الآية:59]

هذه القصص لا ينبغي أن نقرأها فقط, ينبغي أن نستنبط منها.

الله وحده هو القوة المتصرفة :

أحياناً يقول لك إنسان: لا يوجد إلا الله, هناك أقوياء؛ جبابرة, بطاشون, مجرمون, ومع ذلك لا تجد إلا الله.

فإنسان ضعيف, من فئة مستضعفة, من بني إسرائيل, الأقباط هم أعوان فرعون, وفرعون منهم, وبنو إسرائيل مستضعفون, شرذمة قليلون, وإنهم لنا لغائظون, وإنا لجميع حاذرون, وموسى منهم, لم لم يقتله؟ هو قتل أبناء بني إسرائيل, واستحيا نساءهم, هذه أول نقطة, يمكن أن يتحرك الإنسان بحسب رؤيا يريه الله إياها, فالله عز وجل حمى سيدنا موسى:

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَينا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾

[سورة طه الآية:45]

﴿قَالَ لَا تَخَافا إِنَّنا مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَراي﴾

[سورة طه الآية:46]

يجب أن تقيس على هذه القصة, لا يوجد إنسان طليق, كل إنسان بيد الله:

﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[سورة الزمر الآية:62]

فرعون, الجبار, البطاش, ما الذي ألجمه عن قتل موسى؟ لأنه لا يوجد إلا الله, الله وحده القوة المتصرفة.

الإنسان عندما يخاف من جهة, معنى ذلك أن هناك ضعفاً في توحيده, عليه أن يأخذ بالأسباب, أما مع إله واحد فلا يوجد إله ثان:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف الآية:84]

المنحرفون يفسفون انحرافهم و يجعلون من عملهم عملاً براقاً :

هناك نقطة ثانية: الإنسان أوتي منطقاً, أوتي عقلاً, أوتي ذكاء, لا يوجد إنسان يتكلم الحقيقة إن كانت ليست في صالحه.

الإنسان الجبار, الظالم, الطاغية, ماذا قال؟

﴿قَالُوا إِنْ هَذا نَسَاحِرَافٍ يُرِيدانَ أَنْ يُخْرِجاكُمُ مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِما وَيَذُهابا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾

[سورة طه الآية:63]

فرعون ومن حوله طريقة مثلى.

الإنسان قد يكون على أعلى درجة من الانحراف؛ ويدّعي أنه على حق، ويدّعي أنه على صواب، ويدّعي أنه القدوة، فلا تعباً بكلامه؛ المنحرفون يفسفون انحرافهم، الذين يأخذون ما ليس لهم يجعلون من عملهم عملاً براقاً، فهذا كلام، الحقيقة أن ينطبق عملك على القرآن الكريم، ليس كل إنسان قال: أنا على حق، هو على حق.

هذا فرعون، قال: اذهب:

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾

[سورة طه الآية: 64]

حرق المراحل :

هناك نقطة ثالثة اسمها حرق المراحل، إنسان يؤمن بالله عز وجل وفق برنامج معين، لكن أحياناً يكون الدليل قوياً جداً، لدرجة أن هذا الإنسان ينتقل فجأة من مصاف المؤمنين المبتدئين إلى مصاف العلماء الكبار، هؤلاء السحرة هم كذلك.

أنا ممكن أن آخذ لسانس بأربع سنوات، أما بساعة فلا يوجد لسانس بساعة، عند الله هناك حالات نادرة جداً، أي لسانس بساعة، مثلاً قال:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى * بَلْ أَلْفُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾

[سورة طه الآية: 65-66]

معنى هذا أن الساحر عنده قوة تأثير، يسمونها الآن تنويماً مغناطيسياً.

لي صديق، كان في الهند، جاء ساحر معه غلام معه حبل، فألقى الحبل إلى الأعلى، فعلق في السماء، أمر غلامه أن يصعد، صعد الحبل حتى لم يُرَ، أمره أن ينزل، لم ينزل، فصعد وراءه، ونزل رأسه، ثم يده، ثم يده الثانية، قطعه إرباً إرباً، كان هناك سائح أميركي، معه آلة تصوير متحركة، فصور، لم يظهر شيئاً، قوة تأثير هذا الساحر أوهم الحاضرين؛ صعد الطفل، لم يرجع، ثم صعد وراءه الساحر، وقطعه، ثم نزل، فهنا:

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾

[سورة طه الآية: 66]

هم جاؤوا بأنابيب، ولونوها على شكل أفاع، وضعوا فيها الزئبق، وضعوها على منطقة حارة، تمدد الزئبق، - الزئبق معدن رجاج- فتحركت الأنابيب، كأنها تسعى:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾

[سورة طه الآية: 67-68]

أنت مع خالق الكون:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا ﴾

[سورة طه الآية: 69-70]

الله عز وجل أراد لثعبان موسى أن يأكل كل الحبال والعصي :

أما:

﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾

[سورة طه الآية: 69]

فالسحرة جاؤوا بحبال وعصي, وأوهموا الناس أنها تسعى, سيدنا موسى عصاه أصبحت ثعباناً مبيناً, وسعت مثلهم, وهناك جمع غفير, قد لا يدرك الإنسان البعيد الفرق بين الاثنين. فربنا عز وجل أراد لهذا الثعبان المبين أن يأكل كل هذه الحبال والعصي:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾

[سورة طه الآية: 69]

هذا الثعبان.

اكتشاف سحرة فرعون أن ثعبان موسى ثعبان حقيقي :

وفي الحقيقة هناك نقطة دقيقة عندما سيدنا موسى في المناجاة:

﴿ وَمَا تَلِكْ يَمِينُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾

[سورة طه الآية: 17-20]

عندما كان على انفراد مع ربه, حتى لا يخاف كانت حية صغيرة:

﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾

[سورة طه الآية: 20]

لكن عندما صار في جمع غفير:

﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: 107]

وهذا الثعبان المبين أكل كل الحبال والعصي، السحرة سحرة، لو شاهدوا سحراً آخر لم يؤمنوا، لكن هم يعلمون أنهم فعلوا حياً، أما هذا فتعبان حقيقي.

سحرة فرعون هم أول من آمن بسيدنا موسى فإيمانهم دعوة إلى الله :

لذلك:

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ أَمُنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾

[سورة طه الآية: 70-71]

بالمناسبة الله عز وجل يجعل المؤمن شاء أم أبى داعية، مثلاً: هناك مؤمن لا يوجد عنده إمكانية أن يتكلم، لكنه مستقيم، توحيدة عال، دخله محدود جداً، يأتيه مبلغ ضخم فيه شبهة، يرفض، رفض المبلغ دعوة لمن حوله، إنسان يجد أحياناً مليون ليرة، يبحث عن صاحبهم المؤمن، ولو لم يدع بلسانه؛ موافقه، استقامته، عفته، ورعه، صدقه، أمانته، دعوة.

فهؤلاء أعوان فرعون، سحرة فرعون، جاؤوا ليدحضوا الحق، هم أول من آمن بسيدنا موسى، فإيمانهم دعوة إلى الله، فطبعاً قال لهم:

﴿أَمُنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾

[سورة طه الآية: 71]

هذا الموقف الذي سجله الله لهم:

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾

[سورة طه الآية: 72]

هم يواجهون فرعون؛ لا يعرف من هو فرعون إلا من عاش في عصر فرعون، ولا يعرف الطاغية إلا من عاش في عصر الطاغية، الخوف يملأ القلوب، إنسان يواجه إنساناً، قتل الشخص سهل جداً:

﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾

[سورة طه الآية: 72]

كلمة لا تؤكد إيمان المؤمن لأن المؤمن موحد لا يرى إلا الله عز وجل :

عند المؤمن يوجد كلمة لا , كلمة لا دليل إيمانه , ما كل شيء يوافق عليه , هناك شيء يقول: لا بملء فمه , هو يرى الله عز وجل , لا يرى إلا الله , مستحيل! يضحي بحياته ولا يضحي بدينه .

أنا سمعت عن ملك - عاش في عصر المماليك- أراد إذلال العلماء , فجمع العلماء , وجاء بلحم خنزير , وأمر كل العلماء أن يأكلوا من هذا اللحم , فالذي لا يأكل يضرب عنقه , الأكثر أكلوا , هناك رجل من علماء البلد ورع جداً , من شدة مكانته عند الناس استطاع خادم الملك أن يأتي بلحم ضان , وهمس في أذنه كُلم , هذا لحم ضان , قال له: هو عند الناس خنزير , لا أكل , وقتله .

كلمة لا: هي التي تؤكد إيمان المؤمن , ما كل شيء يقال له: نعم , المؤمن عنده ساعات يقول: لا , ولو كلفت هذه الكلمة حياته؛ لأن المؤمن موحد , لا يرى إلا الله عز وجل:

﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

[سورة طه الآية:72]

بالتعبير العامي يدك وما تعطي , وكل ما تملك أن تقتلنا , وأنا لا أخاف الموت , بل هو غايتي , وإذا قتلنا فنحن إلى الجنة .

إيمان الإنسان بالله عز وجل ليغفر له أخطاه :

سحرة فرعون وصلوا إلى مستوى الصديقية في لحظة:

﴿إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

[سورة طه الآية:73]

أنت تؤمن بالله عز وجل , حتى الماضي كله يلغى بكلمة , الله عز وجل تؤمن به ليغفر لك الماضي:

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

[سورة طه الآية:73]

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾

[سورة طه الآية:74]

هذه حالة صعبة , يقول لك: اللا حرب واللا سلم , اللا موت واللا حياة , الموت مريح والحياة مريحة:

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾

[سورة طه الآية:74-76]

الإنسان في الدنيا من أجل أن يتزكى :

لاحظت الإيجاز, أنت في الدنيا من أجل أن تتزكى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

[سورة الأعلى الآية:14]

إله يقول لك:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

[سورة الأعلى الآية:14]